الصور الخيالية

لجسم الإنسان

الفصل الأول

﴿ أول ما يعمل فى الصباح ﴾

أول ما يعمله أغلب الناس وقد استيقظوا من نومهم فى الصباح هو التأب أو التؤباء والتمطط . فأما التأب أو التؤباء ففترة تعترى الشخص فيفتح عندها فاه واسعًا ، أو هو تنفس ينفتح له الفم مليًا من دون قصد . وأما التمطط فهو التمدد . وهو أمر غريب يحدث عند أغلب الناس . وقلما يتساءلون عما هو هذا التأب والتمطط ، وكيف يحدثان ؟ ولئن سألت أى غلام عنهما لأجابك أنه بالتأب والتمطط يطرد النوم وينشط لعمله . فلتراقبه وهو ينهض ، أو راقب نفسك إن أردت ، وتأمل فيما يحدث

لاحظ الغلام وهو نائم

يحسن أن تلاحظ الغلام وهو نائم . لاحظه جيداً ولاحظ أن من الصعب جداً أن تكون دقيق الملاحظة . لاحظه تجد أن عينيه مقفلتان ، وأن أجفانه ساكنة ، وأن الفم مقفل أو مفتوح قليلاً ، وأنه يتنفس تنفساً لطيفاً لا تكاد تسمعه . فان أصغيت بأذنك وجدت أن الشهيق وهو دخول الهواء فى الصدر أطول من الزفير وهو خروج الهواء منه

أنظر الى شكل جسمه وهو تحت القطائف تجده يكبر فى أثناء الشهيق ، و يصغر فى أثناء الزفير . فاذا كشف عنه غطاءه ، وهو نائم كأن يكون فى الصيف مثلاً ، وجدت أن الجزء الذى يكبر فى أثناء الشهيق هو البطن (شكل ١ – أ) وأن الجزء الذى يصغر فى أثناء الزفير كأنه جسم مرن تمدد ثم انكمش هو البطن أيضاً (شكل ١ – ب)

ولنجرب شيئاً آخر قبل نهوض الغلام من النوم . فأنت ترى انه لا يبصر بعينيه وهو نائم . فالعينان مقفلتان . فهل اذناه تسمعان ، وهل انفه يشم كما لو كان متيقظاً ؟ وهل يشعر بما يلامسه ؟ إن قليلاً من الناس يستطيع الجواب عن هذه الاسئلة لأن أغلبهم لم يجرب شيئاً من ذلك

هل تنام الاذنان ؟

احضر ساعة ذات دقات عظيمة فى الغرفة ، وقربها قليلاً قليلاً الى الغلام النائم . فإذا كان الغلام مستغرقاً فى النوم امكنك أن تقربها إلى أذنه تقريباً بغير ازعاجه . إنه لا يشعر بها مطلقاً . ويمكنك أن تحدث ضوضاء عظيمة من الضوضاء الاعتيادية بغير أن يسمع وبذلك تفهم أن أذنيه نائمتان كعينيه

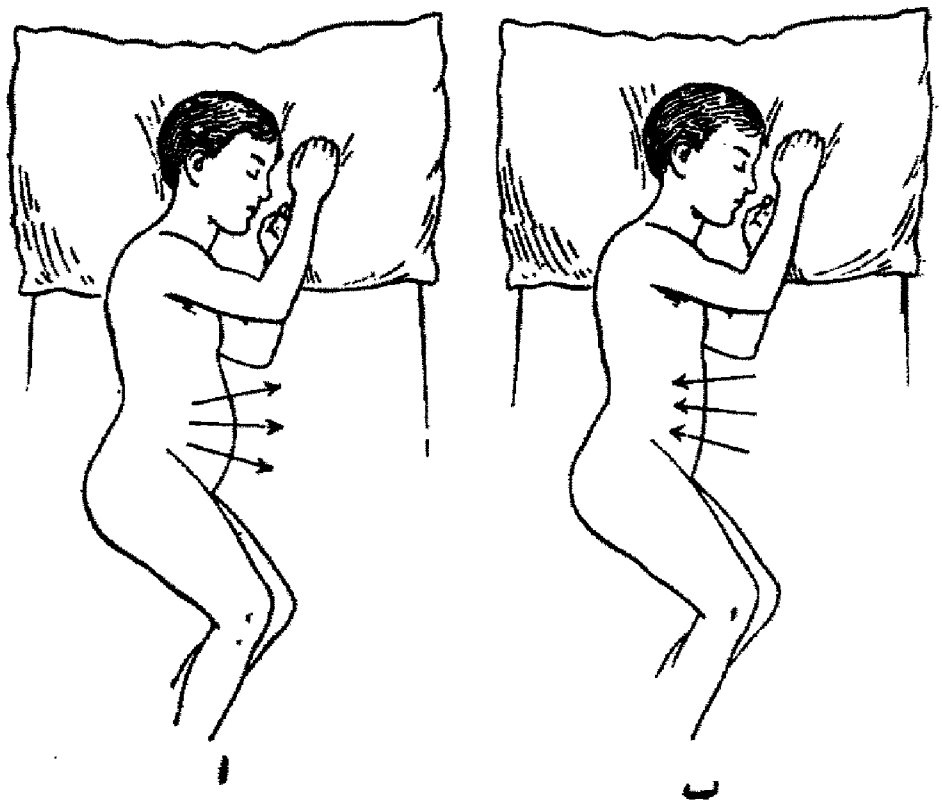

ب

(شكل ١) الصبي وهو نائم وتنفسه بالبطن لا بالصدر

ثم أحضر قنية من قناني الروائح العطرية وضع قليلاً منها على منديل . وقرب المنديل من أنفه وانظر هل يشمه ؟ إنه لا يشمه .

ثم المس يده لمساً خفيفاً . فاذا كنت لطيفاً فى لمسك فانه لا يشعر . ولكنك اذا لم تكن لطيفاً فانه يشعر بك و يسحب يده بغير ان يستيقظ . واذا كنت تريد ازعاجه يمكنك أن تدغدغ انفه بريشة ولكنه لا يستيقظ . فاذا كررت الدغدغة فانه يستيقظ .

ما معنى ذلك كله ؟

لو كنت مولعاً بأسرار الطبيعة ميالاً لمعرفة أسباب الأمور لتساءلت : لمَ لا يسمع الانسان وهو نائم كما يسمع وهو يقظ ، ولمَ لا يشم ، ولمَ لا يحس ولا يشعر ؟ وهى ، يقيناً ، أسئلة ، من الصعب الجواب عليها وربما اختلف كبار الأطباء فى ارائهم فيها .

على ان هناك بعض أشياء قد تساعدك على معرفة الحقيقة . قد يكون لك أخ صغير أو أخت صغيرة فسل والدتك السؤال الآتى :

أإذا صاح أخى أو أختى ليلاً وانت نائمة افتسمعينهُ ؟ وسيكون جوابها : يقيناً إنى أسمعه : ولقد ترى فى جوابها ما يشعر بأن من الغباوة الشك فى هذا الأمر .

فلتستأنف السؤال : ولم ذلك ؟

وقد تقع الأم فى شىء من الحيرة ؛ لأنها قد لا تعرف تماماً السبب . ولعلها تجيبك :

« ان الأمهات يستيقظن بنداء اطفالهن وهو الصياح » ومن الغريب أن الطفل إذا صاح فى غرفة مجاورة فليس صياحه بضوضاء

عظيمة . ليس يحدث صياحه جلبة عظيمة كالتى تحدث عن عاصفة تهب على البيت . ومع ذلك فالعاصفة لا تنهض الأم من نومها . وكثير من الأمهات يكون نومهن ملء اجفانهن أوان العواصف . أما صياح اطفالهن فكالمنبه .

ومثال آخر فى هذا الموضوع ملاحظة الكلب النائم . فإنهُ ينام ملء جفونه نومًا هادئًا ساكنًا رغم ما يكون من الضوضاء طالما أن هذه الضوضاء غيراجنبية . فإذا حضر غريب فإنه يسمع وقع اقدامه وهو على عتبة الباب فينهض سريعًا من نومه لمراقبته .

ليس المهم مقدار الجلبة . فأنت ترى ان المهم ليس مقدار الجلبة بل نوع الجلبة . ففى النوم لا تسمع آذاننا، كما ان عيوننا لا تبصر. لكن الآذان تتقبل بعض أصوات خفيفة معينة . فهذه الأصوات التى تتقبلها الاذن توقظ النائم دفعة واحدة .

وسنعود الى تفصيل هذا الموضوع فى موضع آخر . وحسبنا ، الآن ، أن نعرف اننا خاضعون لنظام معين . وهذا النظام هو لمصلحتنا وسلامتنا ، وسعادتنا . ألا ترى أن الأم إذا لم يوقظها صياح طفلها فقد يفقد حياته ، لأن صياحه لا بد أن يكون عن سبب كأن يكون قد وقع من مهده على الأرض أو كأن يكون قد حدثت له حادثة أخرى . والكلب النائم الذى لم ينتبه من نومه بوقع أقدام الغريب وهو على بعد قد لا يستطيع أن يدافع عن نفسه اذا كان الغريب

لصاً مثلاً . وفي السياحات البحرية الطويلة يقوم المسافرون من نومهم مذعورين إذا تعطلت الباخرة وهم نائمون . ولقد نجت نفوس كثيرة بسبب قيام المسافرين من النوم أوان تضعضع الباخرة لعطل فيها وهي في اليم جارية .

والخلاصة إنه وإن تكن العيون ، والأذان ، وسائر اعضاء الحواس « نائمة » في أثناء النوم إلا أن اجزاء المخ المكلفة بحراستنا وحراسة من هو عزيز علينا لا تنام بل تبقى ساهرة . فالحراس والرقباء ، دائماً أبداً ، على استعداد للانذار عن الخطر اذا بدا ، أو كان قريباً .